الإقتباس القرآني في شعر محمد مهدي الجواهري
Quranic Quotation in the Poetry of Mohammed Mahdi
Al-Jawahiri

م. د. جواد عودة سبهان^(١)

Lect. Jawad Ouda Sobhān (PhD)

الخلاصة

يسعى هذا البحث الى استعراض ملامح الإقتباس القرآني في نتاج الشاعر محمد مهدي الجواهري الذي تبرز وظيفته الأساسية في تأسيس لغة جديدة تسهم في تقوية النص وتجليه خباياه وإثرائه ومنحه قيمة وفاعلية في نفوس المتلقين ، فضلاً عن منحه صفة الديمومة والجمال الإبداعي.

الكلمات المفتاحية: الاقتباس الجزئي، الاقتباس الاشاري، الاقتباس التحويري، الاقتباس الاستنباطي

Abstract

This research seeks to review the features of Qur'anic quotation in the results of the poet Muhammad Mahdi Al-Jawahiri, whose basic function is highlighted in establishing a new language that contributes to strengthening the text, revealing its secrets, enriching it, and giving it value and effectiveness in the hearts of the recipients, in addition to giving it the quality of permanence and creative beauty.

Keywords: Partial Quotation, Referential Quotation, Paraphrased Quotation, Inferential Quotation

المقدمة

الهدف من الإقتباس في شعر الجواهري :

حين نلتفت الى تراثنا الاقتباسي فأنا نجد ان موضوع الاقتباس او التضمين من القرآن الكريم باباً واسعاً أفردت له بعض الكتب مثل (الاقتباس من القرآن الكريم)^(٢) لابي منصور الثعالبي النيسابوري (ت ٤١٢هـ) ، و(توشيح البيان بالملتقط من القرآن) للحريري (ت ٥١٦هـ) ، و (رفع الالباس وكشف الالباس في ضرب المثل من القرآن) للسيوطي (ت ٩١١هـ) . ناهيك عما استقلت به ابواب وفصول من كتب البلاغة والأدب ، وعما تناوله الفقهاء وجوزوه وابعوه وكرهوا بعض انواعه^(٣) . وعلى هذا الأساس فالقرآن الكريم فجر فاعلية الاقتباس عند الشاعر وذلك ما يعطينا يقيناً وقناعة بأن الاقتباس من القرآن الكريم سيظل تعبيراً فنياً مقصوداً لما له من الدقة في التعبير والاحكام في الفن والعلو في الصنعة .

من هنا هدف الجواهري الى تنميق شعره وتحسين كلامه وإغناء تجربته الشعرية الخاصة ، وربطها بتجارب جديدة ، فضلاً عن تعميق التأثير والانفعال مستلهماً العديد من الألفاظ والمعاني والصور المستوحاة من آياته . من هنا صار الإقتباس حاملاً مضامين قيمية عقلية ، وقوى انجازية قولية ، وأبعاداً اقتباسية ، كل هذا نستطيع أن ننظر إليه من زاوية إقتباسية ، ليتحصل من هذا على ما يريد من غايات منكشفة للمتلقي ويضيف على نتاجه الطلاوة والغضارة والنضارة ، ما يزيده روعة وبهاءً وجمالاً وتأثيراً ، فضلاً عن حفظه القرآن وخطباً من نهج اللاعة ونماذج من فنون الأدب العالي^(٤) .

الإقتباس في ضوء المفهوم المعجمي والاصطلاحي :

من الناحية اللغوية ورد الاقتباس في معجم (معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس بن زكريا ، كما ورد في (لسان العرب) لابن منظور نجد مادة (قبس) : (والقبس شعلة النار) ويقال قبست من فلان ناراً وقبست منه علماً أي استنفدته^(٥) .

٢ - ينظر: الشعر والشعراء وانواع اقتباساتهم من القرآن الكريم، محمد بيجت الأثري : ٢٠٤ .

٣ - ينظر: م.ن : ٢٠٤ .

٤ - ينظر: مذكراتي : ٥٢/١ .

٥ - معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا : ٤٨/٥ ، وينظر : لسان العرب، ابن منظور : ١١/١١ .

أما من حيث الاصطلاح ، فهو : (أن يضمّن المتكلم كلامه من شعر أو نثر أو نثر كلاماً لغيره بلفظه أو بمعناه وهذا الاقتباس يكون من القرآن المجيد أو من اوقال الرسول ﷺ أو من الامثال السائرة ... دون ان يعزو المقتبس القول الى قائله^(٦) .

وتأسيساً على هذا الفهم نجد ان الاقتباس هو ما نظمه الشاعر في ضوء الآيات القرآنية ، فهي كاشفة عما يدور في ذهنه وما يختلج في نفسه، وقد تمثل الاقتباس من القرآن عنده بالاتجاهات الآتية :

١- الإقتباس الجزئي :

وهو حضور المقتبس في ذهن الشاعر ، إذ يعمد الى النصّ فيقطع منه عبارات او جملاً او تراكيب جزئية غير مكتملة ، ويضعها في نصفه اللاحق للتأثير على المخاطب ، وتغيير سلوكه ، وتوجيه تفكيره الى الوجة التي يريد بها . وهذا النوع من الإقتباس موجود بكثرة لدى الجواهري وهذا يدل على تأثير الجواهري بجو مدينته الديني (النجف) فرصع شعره بما كان قد اختزنه في حافظته ، ووشاه بما اقتبسه من القرآن الكريم ، ففي قصيدته (تنويمه الجياع) يقتبس جزءاً من الآية الآتية ﴿ وَهَرِي إِيْكَ بِجِدْعِ النَّحْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ﴾^(٧) فيقول : (من مجزوء البسيط)

نامي يُساقطُ رزقك الموعود فوقك بانتظام^(٨)

فجاء الإقتباس في البيت جزئياً (يُساقطُ) ، ثم لاحظ ان هذا الاقتباس يجعل الآية ومدلولها في سياق جديد ، إذ الآية تصف حالة السيدة مريم ؑ وما لها من طعام ، بيد ان الجواهري استعان بها ليفصح عن الجياع وبؤسهم ، وما يكال لهم من وعود كاذبة ، فهو تكلم بأسمهم ، مصوراً وقائع حالهم . وقد ابدع الجواهري حين اقتبس الفعل المضارع إذ اتى به في حالة الاخبار عن وجود كان ذلك ابلغ من الاخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها^(٩) .

وهذا فهمٌ دقيق لاقتباس الفعل المضارع (يساقط) في نقل الحدث الماضي الى حدث آني . وفي بيت آخر من القصيدة نفسها يقول : (من مجزوء البسيط)

نامي تطفُ حورُ الجند ان عليك منها بالمدام^(١٠)

٦ - البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ، الميداني : ٣٦/٢ .

٧ - سورة مريم : الآية ٢٥ .

٨ - ديوانه : ٥٢٢/٤ .

٩ - ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير : ٣/٢ .

١٠ - ديوانه : ٥٢٢/٤ .

جمع الجواهري بين فكرة طواف الولدان المخلدين ، وصفة الحور العين ، مقتبساً مما ورد من ذلك في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾^(١١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَمَانٌ ﴾^(١٢) ، وهذا مما يبرز حذق الجواهري في الاقتباس أكثر فأكثر ، انه قام بذلك على هدي آيتين منفصلتين من سورتين مختلفتين ، لا من سورة واحدة ولا من سياق واحد ، وذلك بلغة شعرية منسجمة متلاحمة مع النص المقتبس كي يدخل المتلقي في المقتبس . ومن علامات الاقتباس الجزئي أيضاً توظيف الجواهري فكرة الصبر حتى يوم الحساب ليبتل الجزءء على ما يبتلى به الانسان ، نحو قوله تعالى : (وإليه النشور)^(١٣) ، وقد برز ذلك في قوله : (من مجزوء البسيط)

نامي الى يوم النشور ويوم يؤذن بالقيام^(١٤)

ففي هذا البيت نلمس اقتباساً جزئياً ادبياً ولعل اهمية الاقتباس تكمن في اعتباره تفاعلاً مع القرآن يسعى الجواهري من خلاله الى امتلاك قدرات ابداعية تتيح له ممارسة فاعلية التشكيل الاقتباسي . وفي بيت آخر من القصيدة نفسها يقول : (من مجزوء البسيط)

وتعوضني عن كل ذلك بالسجود والقيام^(١٥)

فقد اقتبس (السجود والقيام) ، وهو مفهوم اسلامي يشير الى الصلاة في قوله تعالى : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(١٦) ، إذ نلاحظ ان ميزة هذا الاقتباس هنا لفظي بحت ، يأتي انسياباً لذاكرة الجواهري القرآنية وكذلك قوله في قصيدة (احمد شوقي) : (من المتقارب)

تلوذُ الوفودُ بساحيكما وتأتيه من كلِّ فجٍّ زُمر^(١٧)

انه من نافذة القول ان (من كل فج زمر) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾^(١٨) ، واقتبس قوله تعالى : ﴿ حَمَّالَةَ الْخَطْبِ ﴾ في قصيدته التي بعنوان (انغام الخطوب) . يشكو فيها بثه وحزنه مما حل به وشعبه من جور الحكام الجائرين وخداعهم ، فيقول : (من البسيط)

١١ - سورة الواقعة : الآية ٢٢ .

١٢ - سورة الطور : الآية ٢٤ .

١٣ - سورة الملك : الآية ١٥ .

١٤ - ديوانه : ٥٢٢/٤ .

١٥ - ديوانه : ٥٢٤/٤ .

١٦ - سورة الحج : الآية ٢٦ .

١٧ - ديوانه : ٢٢٩/٢ .

١٨ - سورة الحج : الآية ٢٧ .

هذي كما اندفعت عشواء خابطةً وتلك فيما حوت (حمالة الحطب) (١٩)

ولعل الاقتباس في اللفظة (حمالة الحطب) انما تحمل في طياتها تدفقات شعورية تتلاءم وطبيعة المتلقي الحسية^(٢٠)، فليست الالفاظ (هدفاً لذاتها وانما هي وسيلة تتخذها للتعبير عن الدلالات والخواطر التي تجول في أذهاننا) (٢١)، وعليه يجد الناظر المتفحص في اقتباس الجواهري الجزئي انه ابدع في اقتباسه فقد جعل اقتباسه يحاكي مقصده ولا سيما في الاقتباس اللفظي ولو اردنا ان نأتي ما قيل عن الاقتباس الجزئي في الديوان لطلال بنا المقام، وحسبنا ما ذكرناه شهادةً وبرهاناً^(٢٢).

٢- الاقتباس الاشاري :

اذا كان النمط الاول من الاقتباس، هو الاقتباس الجزئي فأن الجواهري تلمس نمطاً آخر، هو الاقتباس الاشاري، محاولاً بذلك ان ينقل معنى النص القرآني الى نصه الشعري، وصولاً الى بناء النص ووفقاً بدلالة معينة يهدف الى اشارتها كي يصل الى الغاية البنائية والدلالية، اذا ما علمنا بأن هذا النمط من الاقتباس يعتمد على لفظة واحدة او اثنتين فيعمد الشاعر الى شخصيات او احداث قرآنية، ويضعها في شعره مكتفياً بذكر مؤشرات سريعة ودالة على الغالب وذلك عن طريق الاشارة المركزة، بحيث تكون هذه الاشارة بمثابة الاستحضار الكامل لتلك النصوص، من دون ان يكون هناك حضور لفظي كامل. ولعل هذا ما أشار اليه الثعالبي في قوله: (تداول الشعراء معنى أصله من القرآن)^(٢٣)، وذلك لما يتميز به هذا النوع من الاقتباس، بقدرة كبيرة على التكثيف والايجاز مع الدقة في التعبير، مما تثير المفردة المستحضرة وجدان المتلقي ومشاعره وتنقله الى اجواء النص المستحضر بسرعة فائقة، وبأقل قدر ممكن من الكلمات، ففي قصيدته (يابن الفراتين) يخاطب الجواهري ابن الفراتين قائلاً: (من البسيط)

سبعٌ عجاف، وقد كُنَّ السِّمانُ لكم فيها اللها واللهي، والجاه، والرغد

على الموائد اكواباً واطعمةً من شاء يختز أو من شاء يبتز^(٢٤)

فالجواهري بفضل كنهه القرآني استطاع بكلمتي أعني (سبعٌ عجاف) استخلاص روح الآيات المندرجة في السياق المتعلق بتعبير الرؤيا التي رآها الملك من سورة يوسف عليه السلام من قوله تعالى (وَقَالَ الْمَلِكُ لِيِّ أَرَى

١٩ - ديوانه : ٢٥٧/٢ .

٢٠ - ينظر : جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي جلال : ١٣٣ .

٢١ - طرائق تنمية الالفاظ، د. ابراهيم أنيس : ٥ .

٢٢ - ولغرض الاستزادة ينظر : ٣٥٣/٣ ، ٣٩١/٣ ، ٤٢٤/٣ ، ٥٠٣/٤ ، ٥١٢/٤ ، ٥٣٢/٤ ، ٦١٤/٤ ، ٢٠٠/٢ ،

٢١٣/٢ ، ٢٣٤/٢ ، ٦٩٢/٥ ، ٨٦٦/٧ ، ٨٣٣/٧ وغيرها .

٢٣ - الشعر والشعراء وانواع اقتباساتهم من الفاظ القرآن الكريم ومعانيه، محمد بجمت الأثري : ٢٠٤ .

٢٤ - ديوانه : ٧٥٥/٥ .

سَبَعُ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٍ خُضِرَ وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٢٥) .

إن ابرز ما يبعث على الاقتباسية في هذا النص ويشد انتباه المتلقي هو ما خلقتة تلك الثنائية المتضادة من قوله : (عجافُ – السمان) المتتالية فيه من نعم مميز لايقاع منتظم يبعث على المواصلة التي يتم الكشف عبرها عن الابعاد الدلالية التي سعى الجواهري لا بلاغها وايصالها الى متلقيه والمتمثلة بتلك المفارقة الحاصلة بين سبْعُ عِجَافٍ وبين (وقد كُنَّ السَّمان لكم) ، فالجواهري هنا وعبر اقتباسه لهذه الثنائية المتضادة عمل على منح النص وما فيه من صور الدقة والشمولية ، كما يعكس الرؤيا التي يعبر عنها والمتمثلة هنا بأمرين يمكن التوصل اليهما من خلال امعان النظر في تلك الثنائية تمثل الاول منها بمحاولة عكسه بصورة عن مجتمعه وما طبع عليه أناسه آنذاك من ان السنين السبع العجاف لم تكن لكم إلا سنين سمان ، أما الثاني فيتمثل بعظم مقام ذلك الرغد والترف من الموائد وما فيها من اكواب واطعمة ، فمن شاء منهم فاليختر ، ومن شاء منهم ييترد .

وفي قصيدته المعنونة بـ (دمعة على سعد) ، يطالعنا اقتباس آخر من اقتباساته الشعرية ، إذ يقول فيها راثياً سعد : (من الكامل)

قم وألتمس أثر الضريح الزاكي وسل الكنانة كيف مات فتاك
أهرام مصر وقد بناك لغاية (فرعون) ذو الأوتاد حين بناك (٢٦)

في البيت الثاني اقتباس من آية في سورة الفجر هو (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) (٢٧) .

يتجلى جمال الصورة الاقتباسية الكنائية في البيت الثاني عبر عدول الجواهري عن التصريح بالمعنى الى التعبير الكنائي القائم على الإيماء الى المعنى المراد عبر عدد من الدوال الكنائية المتمثلة بـ (فرعونُ ذو الأوتاد) كناية عن الجيوش الكثيرة التي تشدُّ مُلكه ، وبذا فقد غدت الصورة الاقتباسية الكنائية غاية التألف ؛ لأنها نجحت عن عملية تفاعل اشاري وما يحمله من بعد جمالي اسلوبي ، فضلاً عن الكنائية نفسها عندئذ تبلغ الصورة الاقتباسية شأوها في الشعرية (٢٨) .

وفي موضع آخر من قصيدته المعنونة (أنشودة السلام) يقتبس النص القرآني قائلاً : (من البسيط)

من آدم ورؤى هاويل تُرعبُهُ تنزلت بالسلام الآي والسورُ

٢٥ - سورة يوسف : الآية ٤٣ .

٢٦ - ديوانه : ١٣٨/١ .

٢٧ - سورة الفجر : الآية / ١٠ .

٢٨ - ينظر : خصائص الاسلوب في شعر البحري، د. وسن عبد المنعم : ٣٦٢ .

تبارك السلمُ شهماً كلهُ أنفٌ من عزوة ، وحيياً كلهُ خفراً^(٢٩)

فاقتباسه هذا في البيت الاول (من آدم ورؤى هاييل) اشارة الى قصة إبنى آدم ﷺ، التي أخذت منحىً إنسانياً مؤملاً . ومن ثم يصير (قابيل) الأخ المقتول أيقونة تختزل القصة كلها ، وهذا ما جسده الجواهري في إقتباسه . بناء على ذلك يدعو الجواهري الى السلام في البيت الثاني ، والذي يميزها الاقتباس الإشاري هو الايجاز اللغوي وتعميق الدلالة . لعل الجواهري أراد بهذا الإيجاز والتكثيف ، الإيحاء الى المتلقي بأن السلام حقيقة ثابتة مقررة في القلوب والأذهان لا يعرفها غبار فلا يحتاج الى مزيد من الإيضاح والتقرير

٣- الإقتباس التحويري :

إن من أهم الأسس التي يقوم عليها الاقتباس التحويري هو أن يعمد الشاعر الى نص مستقل متكامل بذاته ، سواء أكان هذا الاقتباس آية ، ام آيات كاملة ، ام جزء من الآية ، فيحاول الشاعر قطعه من سياقه ، ويضعه في نصه ، بعد التغيير في بنيته الاصلية ، وفي ذلك له ان يزيد او ينقص ، ويقدم فيه او يؤخر ، سواءً أكان هذا التحوير بسيطاً ام معقداً لغرض التأثير في المتلقي عبر بث الافكار والمعاني في بناء فني يتسم بالتلاعب بالانساق التركيبية وترتيبها المعدول به عن الأصل المؤلف^(٣٠) .

وهذا ما نجده في قصيدته (بنت بيروت) ، حيث يقتبس الجواهري الآية الكريمة (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)^(٣١) : (من البسيط)

يا نبتة الله في عليا مظاهره آمنت بالله لم يولد ولم يلد^(٣٢)

أن أبرز ما يلاحظ على هذا الاقتباس هو مدى التشابه او التطابق اللفظي والتركيبى بين نصين ، فالعلان (يلد) و(يولد) في الآية الشريفة أصبحا (يولد) و(يلد) في النص الشعري بمعنى قام الجواهري بتقديم وتأخير بين الفعلين . ولهذا التقديم قيمة دلالية عميقة إذ انه عمل على شد انتباه المتلقي الى المقدم وأهميته لمنشئه فقد وظف هذا الاقتباس المتممات التركيبية المقدمة للإيحاء بالإيمان بالله الذي (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) ، ومع إقرارنا بأن التحوير هنا جاء مراعاة للوزن الشعري إلا ان هذا لا ينبغي ما تم خلقه عبر الدال المقدم الذي اصبح المنبه الاقتباسي في النص من (صورة فنية متميزة اغنت النص ورفدت دلالاته)^(٣٣) .

٢٩ - ديوانه : ٦١٥/٤ .

٣٠ - ينظر : الاسلوبية ، د. موسى سامح.

٣١ - سورة الاخلاص : الآية ٣ .

٣٢ - ديوانه : ٣٤٣/٣ .

٣٣ - البلاغة والاسلوبية ، د. محمد عبد المطلب : ٢٧٢

ومن قصيدته (الفرات الطاغي) يقول : (من البسيط)

بينا هو البحرُ لا تُسطاع غضبته إذا استشاط فلا يبقي ولا يُندر^(٣٤)

حيث يقتبس الجواهري الآية الكريمة (لا تبقي ولا تندر)^(٣٥) ، والتحوير الذي اجراه واضح للعيان فقدم صيغة فاعل الفعل (تبقي) من الضمير المستتر من هي الى صيغة المستتر هو ليثبت بذلك فيضان الفرات العظيم ، ويزداد لدى الجواهري عمقاً وتأثيراً بفعل التحوير الذي عمله مما يجعله يلوح بخطورة موقف الفيضان

ومن النصوص التي ظهرت فيها فاعلية الاقتباس قوله : (من مجزوء الكامل)

والشانتيك الأغبياء على حجاك المُسبَطِ^(٣٦)

أخذ الجواهري قبسة قرآنية من قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾^(٣٧) .

لقد انطوى هذا الاقتباس على خرق تركيبى نتج عن التحوير على العدول عن الأسم المفرد (شانتيك) الى صيغة الجمع (والشانتيك) ، والقيمة الاقتباسية لهذا الاقتباس تتمثل في (شحن النص بطاقة انفعالية تعكس دواخل الشاعر وتسبغ على البيت صبغة وجدانية بالغة الأثر^(٣٨) .

٤- الإقتباس الاستنباطي :

ان هذا الاقتباس يقوم على اذابة النصوص الغائبة ، واعادة صياغتها في لغة جديدة ، وما ذلك إلا لقدرة الشاعر المبدع على اخضاع النص السابق لادواته الفنية ، إذ يعيد تشكيله في بناء لغوي جديد ، يختلف عن البناء القديم ، وقد يعمل على ترسيخ المضمون المقتبس ، وهذا ما يحقق للإقتباس الاستنباطي التأثير والفاعلية التي تؤدي الى دوام تواصل المتلقي مع الفكرة الاقتباسية^(٣٩) ، والحق أن الجواهري قد عُرف بدقة الاستعمال القرآني للألفاظ حتى صار اسلوباً مطرداً لديه بسبب فهمه العميق للفظة القرآنية داخل النص من خلال ما تمثل به من نصوص ، فقد تمكن اقتباس قوله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً

٣٤ - ديوانه : ٢ / ٢٧٧ .

٣٥ - سورة المدثر : الآية ٢٨ .

٣٦ - ديوانه : ٤ / ٥٩٥ .

٣٧ - سورة الكوثر : الآية ٣ .

٣٨ - خصائص الاسلوب في شعر البحري، د. وسن عبد المنعم : ٢١٥ .

٣٩ - ينظر : الاسلوبية ، مفاهيمها وتجلياتها، د. موسى سامح : ٩٠ .

بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ^(٤٠) ، وتشربه في نصه ليعيد صياغته بقوله من رثاء الشهيد: (من الكامل)

قالوا قرايين ، فقلت أرادها
لأرض من وصى بها لسماء
وأثابهم عنها الخلود فما هم
نُصِبُ شخوصُ في عيون الرائي^(٤١)

والجواهري في النص الشعري يستوعب معنى الآية القرآنية السابقة التي تتحدث عن الشهداء ، فهم احياء عند ربهم يرزقون في جناته بما يتمنونه ، فهم وان كانت اجسادهم في التراب فأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين ، ويلحظ المتلقي أنه لم يظهر بنص الجواهري ، آية مفردة من مفردات النص القرآنية ، كما انه لم يعتمد نفس الصياغة او الاسلوب القرآني في عرضه حال الشهداء ، بل عمد الى صهر تلك الصياغة القرآنية في لغته الخاصة ، وسكب عليها من روحه الشعرية ، وبهذه العملية الاقتباسية يستمر النص السابق غير ممحو ويحيا بدل أن يموت)^(٤٢) ، ونجد الثقافة القرآنية بأوضح تجلياتها عند الجواهري في اقتباسه من قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)^(٤٣) . فقد اتكأ الجواهري على مضمون هذه الآية ليقول من قصيدته (الوحدة العربية الممزقة) : (من الكامل)

أنا شاعرٌ يبغي الوفاق موحدُ
بين الشعوب سبيله الأرشادُ
ما الفرسُ والأعرابُ إلا كفتا
عدلٍ ولا الأتراك ولا الأكرادُ^(٤٤)

فعمل الجواهري على تفكيك بنية النص القرآني اللغوية وأعاد تشكيلها في بناء جديد وهي صياغة مختلفة بمضمون واحد ، ولعل من مظاهر ملكاته في قوة احضاره النص القرآني وقدرته على التصرف بالجملة القرآنية واعادة صياغتها .

لاحظنا فيما مر بنا من النصوص الشعرية أن الجواهري اتكأ على مرجعيته القرآنية التي تعد من انجح الوسائل الثرية المؤثرة التي تساعد على اظهار قوة النص ومثاقمه ، بسبب طبيعة النص القرآني وما يمثله من قدسية وكذلك اهتمام الناس بهذا النص ومحاوله حفظه وتذكيره ، من هنا نلاحظ الوجود الموضوعي والحضور الفاعل في القرآن الكريم في نص الجواهري بما له من قوة بلاغية تظهر تبعاً للمقامات التي ورد فيها .

٤٠ - سورة آل عمران : الآية ١٦٩ .

٤١ - ديوانه : ٤ / ٥٥٩ .

٤٢ - ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس : ٢٥٣ .

٤٣ - سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

٤٤ - ديوانه : ٤٤ / ١ .

نتائج البحث

بعد هذا السوح في فضاء الاقتباس القرآني في شعر الجواهري أسفر البحث عن مجموعة من النتائج التي ملخصها الآتي :

١- أظهر البحث براعة الجواهري في عملية الاقتباس من حيث قدرته على توظيف المادة المقتبسة في مواقف جديدة .

٢- أجاد الجواهري في الاقتباس التحويري عبر إتقان الآيات القرآنية ، حيث اخضعها لأسلوبه الخاص ، وانزاح بها عن بنيتها اللغوية ، واعداد صياغتها من جديد ليقدم الى القارئ رؤيته الشعرية فتوسعت دلالتها مما أستدعى من المتلقي الامعان فيها لفهم مكوناتها والدلالة التي أدتها .

٣- كشف البحث ان الاقتباس الاستنباطي أندر انواع الاقتباس وأدناها على الثقافة القرآنية للجواهري حيث استطاع على تفكيك بنية النص القرآني اللغوية واعداد تشكيلها في بناء جديد وهي صياغة مختلفة من مضمون واحد .

المصادر والمراجع

- أولاً: القرآن الكريم .
- ثانياً : الكتب المطبوعة
- الاسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، د. موسى سامح ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط١١ ، ٢٠٠٣ .
- البلاغة والاسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط١ ، ١٩٩٤ .
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنظري عند العرب ، د. ماهر مهدي جلال ، سلسلة دراسات دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠ .
- حُسن التوسل الى صناعة الترسل ، شهاب الدين بن محمود الحلبي ، تحقيق : أكرم عثمان ، دار الرشيد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٠ .
- خصائص الاسلوب في شعر البحري ، د. وسن عبد المنعم ، منشورات المجمع العلمي ، ٢٠١١ .
- طرائق تنمية الألفاظ ، د. ابراهيم أنيس ، النهضة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- ظاهرة الشعر المعاصر ، محمد بنيس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٥ .

- لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(ت٧١١هـ) ، تحقيق : علي شعيري ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٩٨٨ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبن الاثير ، تحقيق : احمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٣٩ م .
- مذكراتي ، محمد مهدي الجواهري ، منشورات دار المجتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، قم المقدسة ، ايران ، ط ١ ، ٢٠٠٣ .
- معجم مقياس اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا ابو الحسن (ت٣٩٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بيروت - دار الجيل ، ط ١ ، ١٩٩١ .

البحوث المنشورة :

- أزمة الابداع في الفكر العربي المعاصر ، محمد عابد الجابري ، مجلة فصول ، العدد ٣ ، ١٩٨٤
- الشعر والشعراء وانواع اقتباساتهم من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ، محمد بهجة الأثري ، نقلاً من مجلة المورد ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، المجلد ١٧ ، العدد الرابع .